Issue 6153 Wednesday 26/9/2018
الزمان – السنة الحادية والعشرون العدد 6153 الاربعاء 16 من محرم 1440 هـ 26 من ايلول (سبتمبر) 2018م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/21. UK

الذكرى الثامنة والأربعون لرحيل عبد الناصر عام 1970

الوحدة والسيادة والتردّي العربي والهيمنة والطائفية

مبدر الويس
بغداد

في الثامن والعشرون من أيلول/سبتمبر/عام , 2018تكون قد مرت ثمانية وأربعون عاماً على رحيل عبد الناصر عن عمر ناهز الثانية والخمسون عاماً وهو في ربيع شبابه ,ومن المفارقات إن يوم وفاته ,هو نفس اليوم الذي حدث فيه إنفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة في 1961/9/28 وفي يوم وفاة عبد الناصر صرح ناطق رسمي بأسم وزارة الخارجية الأمريكية ,قائلاً " لقد أنتهى وإلى الأبد بوفاة عبد الناصر عشرون عاماً من الحماس الثوري " ويقصد بالحماس الثوري ,هو محاربة عبد الناصر للأستعمار والهيمنة الأجنبية والسعي لتحرير فلسطين والعمل على تحقيق الوحدة العربية ومحاربة النظم العربية الرجعية الموالية للأستعمار وغيرها. والمعلوم قبل وفاة عبد الناصر كان الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون يجري مناورات بحرية في البحر الأبيض المتوسط بالقرب من شواطئ مدينة الإسكندرية ,وقد عمل مؤتمراً صحفياً قال فيه (لقد جئنا إلى هنا لنُسمع علد الناصر أصوات مدافعنا) وعندما أخبروه صباح اليوم التالي بأن عبد الناصر قد مات ,قال (لو كان بيننا وبين عبد الناصر تمثيل دبلماسي لركبت الطائرة للمشاركة في تشييع هذا الجندي الشجاع) ومع ذلك أرسلت الإدارة الأمريكية وزير الصحة للمشاركة في التشييع حيث وصل عدد الدول التي أرسلت ممثليها لحضور التشييع كما نشرت الصحافة آنذاك تجاوز 120 دولة من مجموع 150دولة الأعضاء في الأمم المتحدة كما قدرت الصحافة ووكالات الأنباء بأن عدد المواطنين المصريين الذين شاركوا في التشييع تجاوز تسعة ملايين مواطن , وقد وصفت الصحافة ذلك بأنه أكبر تشييع في التاريخ . ومن الجدير بذكره إن العلاقات الدبلوماسية كانت مقطوعة ليس فقط مع الولايات المتحدة الأمريكية وإنما أيضاً كانت مقطوعة مع بريطانيا وفرنسا منذ العدوان الثلاثي البريطاني الفرنسي الصهيوني على مصر عام 1956.

وفد حزبي

وفي هذا السياق لقد علمت من الصديق جورج بطل عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي اللبناني آنذاك ,قال لقد ذهبت إلى موسكو على رأس وفد من الحزب لحضور إجتماع للأحزاب الشيوعية من مختلف البلدان يقدر عددها بأكثر من مئة وفد ,وصباح يوم أفتتاح المؤتمر دخل قاعة الأجتماع السيد غروميكو وزير خارجية الأتحاد السوفيتي آنذاك ,فقال (رفاق لقد مات عبد الناصر يلغى الإجتماع , عودوا إلى بلدانكم) وترك قاعة الإجتماع وعادت الوفود إلى بلدانها ,وهذا يدل على القيادة التاريخية لعبد الناصر في الشؤون الدولية . لقد قدمت ثورة 23 /يوليو/تموز 1952 الناصرية إنجازات كبيرة في مصر وخارجها . فعلى الصعيد الداخلي قضت ثورة يوليو على نظام ملكي شبه أقطاعي فاسد تابع لبريطانيا ,مع إجلاء القواعد العسكرية البريطانية ,حيث كانت الحكومات المصرية المتعاقبة تشكل بموافقة السفير البريطاني في القاهرة وبذلك أستعادت مصر سيادتها التامة وأستقلالها ,كما أصدرت قوانين الإصلاح الزراعي لصالح تمليك الفلاحين والقضاء على الإقطاع ,وبذلك عززت ثورة ثورة يوليو الإنتاج الزراعي ,كما أقامت السد العالي الذي ساهم في زيادة الرقعة الزراعية وبالتالي زيادة الدخل القومي للبلاد متزامناً مع الإصلاح الزراعي لزيادة رقعة الأرض الزراعية كما عملت ثورة يوليو على مشاركة العمال في الأرباح التي تنتجها الشركات , وبذلك تكون ثورة يوليوم قد حققت العدالة الإجتماعية للطبقة الفقيرة من العمال والفلاحين الذين يمثلون الأغلبية في الشعب أي شعب كما نهضت ثورة يوليو في التعليم والثقافة –وهو الأهم –فاقامت التعليم المجاني في مختلف المراحل الدراسية ,كما نشرت الجامعات والمدارس المختلفة في عموم البلاد بما فيها القرى ,حيث كانت الدراسات العليا حكراً للطبقة الأرستقراطية في العهد الملكي لذلك أصبح أولاد العمال والفلاحين سفراء ووزراء وضباط وغيرها من وظائف الدولة كما أممت ثورة يوليو البنوك الأجنبية التي كانت تمارس الأستغلال والأحتكار للشعب المصري وتحولت إلى بنوك مصرية. كما أقامت ثورة يوليو الضمان الصحي المجاني لكافة المواطنين من الفحوص الطبية إلى العمليات الجراحية ,إضافة إلى الشروع في بناء المجمعات السكنية لضمان السكن لصالح الفقراء والمعدمين , فأقامت العدالة الإجتماعية في هذا المجال لصالح الطبقات الفقيرة , وفي مقدمتهم العمال والفلاحين . كما أقامت ثورة يوليو الصناعات المدنية والعسكرية ووصلت هذه الصناعة إلى مراحل متقدمة ,وقد أوقف السادات هذه الصناعات بطلب أمريكي ,هذا ما ذكره صدقي سليمان وزير الصناعة في العهد الناصري في ندوة تلفزيونية في محطة الجزيرة التلفزيونية بعد سنوات من وفاة عبد الناصر وغيرها من الإنجازات الداخلية , وفي المجال العربي ساندت ثورة يوليو حركات التحرر الوطني العربية ,من أجل إسقاط النظم العربية المرتبطة بالإستعمار ,حيث سخرت ثورة يوليو مختلف وسائل إعلامها من صحافة وتلفزه لتحريض الجماهير العربية لإسقاط هذه النظم الفاسدة العميلة للأستعمار حيث تحولت ثورة يوليو ومن بعدها الجمهورية العربية المتحدة رائدة وقائدة لحركات التحرر الوطني العربية في مرحلة تاريخية حاسمة سميت بالمد القومي في خمسينات وستينات القرن الماضي ,فقامت ثورة العراق عام 1958حيث كان الضباط الأحرار على صلة بقيادة الجمهورية العربية المتحدة في الأقليم الشمالي في سوريا ,كما قامت ثورة اليمن بقيادة عبد الله السلال عام 1962 وثورة ليبيا بقيادة معمر القذافي عام , 1969غير إن هذه الثورات لم تحقق أهدافها التي قامت من أجلها وهو العمل من أجل الوحدة , فتحولت إلى نظم من أجل الحكم والسلطة ,إضافة إلى دعم ثورة يوليو ثورة الجزائر ضد الأستعمار الفرنسي منذ إنطلاقها عام 1954 بالمال والسلاح والإعلام حتى أستقلال الجزائر عام 1962في عهد الجنرال شارل ديغول حيث كان دعم ثورة يوليو للثورة الجزائرية ,هو السبب في أشتراك فرنسا مع بريطانيا والكيان الصهيوني في العدوان على مصر عام 1956 والمسمى بالعدوان الثلاثي وهذا ما ذكره المناضل المرحوم أحمد بن بيلا على هامش دوة عشاء في لندن رئيس جبهة التحرير الوطني الجزائرية التي قادت الكفاح ضد الإستعمار الفرنسي وأول رئيس للجزائر بعد أستقلالها كما دعمت ثورة يوليو الجامعة العربية وفرضت على الحكام العرب إصدار قرارات أستراتيجية من خلال الجامعة العربية خلال مؤتمري القمة العربية اللذان عقدا في القاهرة والأسكندرية في كانون ثاني وأيلول في القاهرة والإسكندرية على التوالي عام 1964حيث تم إصدار قرار بإنشاء السوق العربية المشتركة الذي في نهاية المطاف بشكل متدرج يؤدي إلى الوحدة العربية ,كما صدر قرار آخر بإقامة . معاهدة الدفاع العربي المشترك بين الدول العربية الإعضاء في الجامعة العربية ,وتم تشكيل قيادة عسكرية برأسة الفريق علي علي عامر وكان الهدف من معاهدة الدفاع العربي المشترك هو الدفاع عن أي بلد عربي يتعرض للعدوان ,خلال تكوين جيش عربي واحد ,لحماية الأمن القومي العربي وإرجاع الحقوق العربية في فلسطين وغيرها كما صدر قرار ثالث في مؤتمر القمة العربية الذي عقد في الخرطوم بحضور عبد الناصر في أيلول 1967في أعقاب نكسة حزيران حيث صدر هذا القرار (بأنه لاصلح ولا تفاوض ولا أعتراف بإسرائيل) وقد سمي مؤتمر القمة هذا بمؤتمر اللاءات الثلاث ,وبعد وفات عبد الناصر أختفت كل هذه القرارات بفعل الهيمنة والتبعية للولايات المتحدة والغرب عموماً لكافة البلدان العربية ,وتحولت الجامعة العربية مجرد ديكور تتحكم فيها النظم العربية الرجعية وعلى رأسها السعودية ,وما يجري اليوم في سوريا وليبيا واليمن والصومال من حروب أهلية من أجل السلطة مع وجود عصابات داعش التي جهزتها الإدارة الأمريكية ومعها الكيان الصهيوني هو دليل على عدم وجود دور للجامعة العربية في حل المشاكل العربية فسوريا شرد نصف شعبها في الداخل والخارج وتحولت أرضها إلى قواعد عسكرية لروسيا وتركيا والولايات المتحدة في صمت مطبق للحكام العرب وجامعتهم العربية . إن الدور الأبرز الذي قامت به ثورة يوليو هو رفعت راية القومية العربية ,من أجل تحقيق الوحدة العربية الشاملة , فالقومية العربية ليست حركة عنصرية كما يروج لها أعدائها وإنما حركة ثقافية إنسانية معادية للأستعمار والصهيونية وتعمل على وحدة الشعب العربي الواحد المجزأ في دويلات قطرية كلها تحت الهيمنة وخاضعة للأستعمار ,كما إن الوحدة العربية هي الأساس في بناء الحضارة العربية وفي تحرير الأراضي العربية المغتصبة والمحتلة في فلسطين وغيرها . كما تؤمن القومية العربية في حق الشعوب المجزآة أو الوقعة تحت الأستعمار الحق في تقرير مصيرها من أجل الأستقلال أو الوحدة . لذلك يعمل الوحدويون العرب في كافة البلدان العربية لتحقيق هذا الهدف طال الزمن أم قصر . وفي المجال الخارجي وقفت ثورة يوليو في الدفاع في المحافل الدولية عن حقوق الشعوب المستعمرة من أجل الحصول على حقوقها وحريتها في قارات آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ,كما ساهمت بشكل فاعل ثورة يوليو في إقامة منظمة دول عدم الإنحياز في " باندونغ " في أندنوسيا عام , 1955بالتعاون مع كل من نهرو في الهند وتيتو في يوغسلافيا وسوكارنو في أندونوسيا ,حيث لعبت منظمة دول عدم الإنحاز دوراً بارزاً في تخفيف حدة التوتر الدولي الذي كان قائماً في فترة الحرب الباردة بين المنظومتين الرأسمالية بقيادة الولايات المتحدة , والمنظومة الإشتراكية آنذاك بقيادة الاتحاد السوفيتي كما وقفت ثورة يوليو ضد الأحلاف العسكرية في المنطقة وفي مقدمتها حلف بغداد الإستعماري الذي تشكل عام 1955 ,وكان يضم كل من بريطانيا وتركيا وإيران والولايات المتحدة . وقد سقط هذا الحلف بعد ثورة 14 /تموز/1958 في العراق . وفي هذا المجال.

وضع عربي

إن الوضع العربي الراهن يسير نحو التدهور والإنهيار يوماً بعد آخر بسبب النظم الحاكمة الباحثة عن السلطة والمرتبطة بالأستعمار , حيث تجتاح الفوضى والحروب الأهلية بعض البلدان العربية من أجل السلطة والحكم وفي مقاومة المنظمات الإرهابية كداعش التي هي صنيعة أمريكية إسرائلية ,وهو ما أعترفت به هيلاري كلنتون وزيرة خارجية امريكا السابقة ,حيث إنها على إطلاع بأسرار الدولة , كما أعترف ترامب أيضاً في حملته الانتخابية بأن داعش صنيعة أمريكية والمعلوم إن ترامب موالي للصهيونية ومن أشد المدافعين عن الكيان الصهيوني في فلسطين ,فقد أعترف بالقدس عاصمة أبدية لأسرائيل ,كما قطع المساعدات المالية التي تقدمها الولايات المتحدة للفلسطينين ,وأغلق مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في واشنطن وهو ما لم يفعله أي رئيس أمريكي سابق ,فهو شخص غير متوازن , وقد نشرت جريدة المشرق العراقية في 9/10/ 2018بأن ترامب هاجم بشدة صحيفة نيويورك تايمس الأمريكية بعد نشرها مقالاً دون أن تذكر أسم كاتبه ,حيث جاء في المقال (إن السلوك الخطر المزعج وغير الأخلاقي لترامب , والسلوك الذي يتضمن تشدقات متكررة , وأتخاذ قرارت غير مدروسة ودون إلمام بالأمور ومتهورة فهو ذو نزعة قيادية تافهة) والمعلوم إضافة إلى الطائفية المقيتة السائدة في العراق منذ سقوط النظام السابق عام 2003وحتى اليوم أصبحت الطائفية في العراق عنصراً أساسياً في نظام الحكم ,والتي وضعتها الإدارة الأمريكية من خلال مؤتمر المعارضة في لندن للفترة من بين 15-17/كانون أول/ 2002الذي أقامته الإدارة الأمريكية في فندق هلتون في شارع أجور رود وسط لندن وأشرفت عليه وجمعت حوالي 600مواطن عراقي من أوربا والبلدان العربية وأمريكا وقد تمخض عن هذا المؤتمر الذي أشرف على إدارته الأمريكي خليل زاد عن تشكيل هيئة سياسية من 65 شخص تم تقسيمهم على أسس طائفية وأثنية سنة وشيعة وكرد وتركمان وغيرهم وقد شملت هذه الصيغة الطائفية كافة الحكومات التي شكلت بعد سقوط النظام السابق وحتى اليوم , والتي تتعارض مع المادة الأولى من الدستور العراقي النافذ حيث تنص هذه المادة ,على أن (نظام الحكم جمهوري نيابي (برلماني) ديمقراطي) .حيث أدت الطائفية إلى التمييز بين المواطنين على أساس المذهب أو الدين وتسبب في القتل الطائفي بين المواطنين وخصوصاً في الأعوام 2006 ، 2007 وأصبح التعيين في مؤسسات الدولة ومرافقها على أسس طائفية حيث أدت الطائفية إلى أضطهاد المسيحيين بأسم الدين وقتل أعداد كبيرة منهم وهجرة الآلاف إلى الدول الأوربية ,ولم يبقى منهم في العراق سوى أعداد قليلة ,حيث كان عددهم يصل إلى مليون وسبعمائة ألف مواطن حيث لعبوا دوراً أساسياً في بناء العراق ويتمتع معظمهم بكفاءات علمية وثقافية , كما شملت الهجرة بسبب التمييز الطائفي ألآلاف من العرب أصحاب الكفاءات العلمية والثقافية والأختصاص وأغلبهم من حملة الشهادات العليا في العلوم المختلفة والآداب ,كما أدت السياسة الطائفية بأسم الدين أو المذهب إلى تشكيل المليشيات الطائفية بهدف مقاتلة داعش ,إلاّ إن بعض أعضائها كان يقوم بتجاوزات خطرة مثل سرقة محلات الذهب والصيرفة أو قتل بعض المواطنين أو خطفهم لأسباب طائفية ,وهي مسلحة بأسلحة ثقيلة ومتوسطة فأصبحت موازية في تسليحها للجيش وبالرغم من أرتباطها بالقائد العام للقوات المسلحة فإن هذا من الناحية النظرية ,أما من الناحية الفعلية فهي تتصرف كما تريد لذلك فإن مصلحة البلد ومن أجل الأمن والإستقرار يجب حل هذه المليشيات وإلتحاق من يرغب بالقوات المسلحة ,فالأصل في كافة الدول أن هناك قوات مسلحة واحدة ,مرتبطة بالأركان العامة ووزارة الدفاع ,حيث لا يمكن حفظ الأمن والأستقرار في البلاد في وجود مليشيات مسلحة .

فالسلاح يجب أن يحصر بيد الجيش وقوى الأمن التابعة للدولة . كما أدت السياسة الطائفية للدولة إلى إنتشار الفساد المالي والإداري بشكل واسع لم يسبق له مثيل , فالرشوة لم تقتصر على الأجهزة الإدارية في الدولة بل شملت حتى القوات المسلحة وأجهزة الشرطة والأمن ,ونتيجة لهذا الفساد المالي والإداري أنتشرت ظاهرة تزوير الشهادات العلمية من أجل الحصول على مركز وظيفي أو سياسي حيث تم الكشف في السنوات الماضية عن العديد من الشهادات المزورة التي قدمها أشخاص من أجل الحصول على مقعد في البرلمان كما أنتشرت ظاهرة تزوير السندات العقارية من أجل الأستيلاء عليها حيث نشرت الصحف بأن هناك أكثر من 20ألف عقار في بغداد وحدها تم الإستيلاء عليها من قبل عصابات من خلال تزوير سنداتها وبالتعاون وبالرشا مع الأجهزة المسؤولة عن هذه العقارات ,ومن الفساد المالي في بلادنا هو أستيلاء كتل وأحزاب معينة على الموارد المالية للسياحة الدينية في البلاد ,في حين هذه الموارد يجب أن تذهب إلى البنك المركزي ,خصوصاً وإن البلاد تجتاز أزمة مالية خانقة سببتها السياسات الطائفية للحكومات المتعاقبة على البلاد . كما إن الأستيلاء على هذه الموارد يتعارض مع مبدأ المساواة في الديمقراطية وهو المبدأ الذي ينص على المساواة بين المواطنين دون تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو المذهب أو الدين أو العنصر أو الثروة ,أو النسب أو المركز الوظيفي وغيرها ,وهذا أحد عناصر الفساد المالي الذي تمارسه السلطة الحاكمة ومن عناصر الفساد في الدولة وهو إن أحزاب السلطة تشغل أبنية ومساكن كمقرات لأحزابها تعود للمال العام دون بدل إيجار مقابل ذلك أو دفع إيجار هامشي ,لذلك تقتضي النزاهة والمصلحة العامة أن يدفع الإيجار بأثر رجعي في حالة عدم وجود إيجار أو يتم رفع الإيجار إذا كان يدفع بشكل رمزي بحيث يتفق مع الإيجار الحقيقي للعقار في الوقت الحاضر . كما يجب إلغاء مؤسسات الوقف الشيعي والسني لأن وجودهما يساهم في تعزيز الطائفية , والعودة إلى مؤسسة وزارة الأوقاف التي تحوي مؤسساتها مختلف المذاهب الإسلامية إن هذين الوقفين الشيعي والسني يمنحان شهادات علمية , فكيف يجوز لمؤسسات دينية أن تمنح شهادات علمية حيث لم يحدث في تاريخ العراق مثل هذا ولا أي بلد عربي وإسلامي على الإطلاق وهذا أحد جوانب الإنحدار في العلم والثقافة. ومن أجل القضاء على المحسوبية والطائفية والرشاوي والتوسط في التعيين في وظائف الدولة يجب أن ينحصر التعيين مركزياً في الدولة من قبل هيئة تتصف في الحياد والنزاهة والأستقلال شبيه بمجلس الخدمة في السابق ,تقوم بدور التعيين بشكل مركزي في بغداد للذين يكملون دراستهم الجامعية والعليا وغيرهم بدلاً من التعيين في وظائف الدولة من قبل الوزير أو غيره من أجل التخلص من المحسوبية والرشاوي والإنحياز الطائفي في التعيين كما هو قائم اليوم وهذا يشكل أنتهاك لمبدأ المساواة بين المواطنين دون تمييز .

وأستناداً إلى المادة الأولى من الدستور التي تنص على تطبيق الديمقراطية في إدارة الدولة , فالديمقراطية هنا هي فلسفة قانونية سياسية وهي علمانية بطبيعتها ترفض تدخل الدين في السياسة بشكل مطلق لذلك يجب أستناداً إلى ما قرره الدستور يجب منع الأحزاب الدينية من العمل في السياسة أو الأحزاب التي مرجعيتها دينية لأن تدخل الدين في السياسة منفذ سقوط النظام السابق 2003قد أدى إلى جلب الكوارث للشعب العراقي بسبب التمييز الطائفي بين المواطنين على أساس المذهب أو الدين من قتل وخطف وإضطهاد وهجرة ,ولازال الوضع قائماً ولو بدرجة أخف ,كما إن تدخل الدين في السياسة هو السبب في حكم العراق على المحاصصة الطائفية والتي شكلت إساءة للدين وإفساد للسياسة والتي أدت هذه المحاصصة الطائفية إلى نشر الفساد المالي والإداري في مختلف مؤسسات الدولة دون حساب قانوني لهؤلاء الفاسدين الكبار الذين سرقوا أموال الشعب العراقي والذين حولوا العراق إلى دولة غنائم ,فشاع الفقر في صفوف الشعب العراقي .. وهو بلد نفطي غني ,حيث نسبة الفقر 50%خمسين بالمئة من الشعب العراقي ,كما أدى هذا الفقر إلى ترك الأطفال للدراسة للبحث عن لقمة العيش لعوائلهم أما بالتسول في الشوارع في عموم المحافظات العربية ,أو إستغلالهم للعمل بأجور زهيدة . وبسبب الطائفية المقيتة ونظام المحاصصة وشيوع الفقر في صفوف الشعب العراقي أرتفعت نسبة الأمية في الشعب العراقي إلى درجة كبيرة قد تصل إلى نسبة 15%أو أكثر وهو من مسؤولية السلطة الحاكمة التي لا تعي خطورة تفشي الأمية على تخلف البلاد ومستقبلها ودون أهتمام الحكومات المتعاقبة منذ عام 2003بالعلم والثقافة ,التي هي الأساس في بناء المجتمعات وتقدمها نحو الحضارة بسبب إن المشرفين على التعليم والثقافة ليسوا مؤهلين ,وبسبب إن الذي وضعهم على قمة الهرم التعليمي الإبتدائي والجامعي هي المحاصصة الطائفية للكتل السياسية الطائفية الحاكمة سنة وشيعة وهو شيئ معيب ومخجل في العمل السياسي ,وهو ما يحقق أهداف الإدارة الأمريكية والكيان الصهيوني بسبب تردي الوضع العراقي إلى هذا المستوى من الحضيض وفي كل مجال سياسياً وعلمياً وثقافياً وأقتصادياً وإجتماعياً وأمنياً وغيره ,وهو ما أدى إلى أن يفقد العراق سيادته وأستقلاله لصالح الهيمنة الأجنبية أمريكا ,إيران , تركيا ,السعودية وغيرها وخير مثال على فساد العملية السياسية إن الانتخابات البرلمانية العامة الأخيرة قد تمت في 2018/4/12 وبسبب التزوير وإعادة الفرز لم يتم إنتخاب حكومة حتى كتابة هذه السطور في 2018/9/15 أي أكثر من خمسة أشهر ولو كان لدينا قضاء محايد ومستقل لألغى العملية السياسية كلها لأنها قامت على المحاصصة الطائفية وعلى خلاف المادة الأولى من الدستور التي تنص على قيام نظام ديمقراطي في العراق ,حيث لا وجود لرقابة قضائية في العراق تراقب القوانين التي يصدرها البرلمان إذا كانت غير دستورية فيسارع القضاء إلى إلغائها ,وأيضاً رقابة القضاء على قرارات السلطة التنفيذية إذا كانت تنتهك حقوق وحريات المواطنين فتلغى على الفور .

كما أن دور النائب العام الذي هو وكيل الشعب غائب ولا وجود له فمن واجبه إحالة الفاسدين من سراق المال العام من المسؤولين وغيرهم إلى القضاء ,فالرقابة القضائية هي أحد عناصر الدولة القانونية ولا دولة قانونية بلا رقابة قضائية ,ولو كان لدينا قضاء مستقل لألغى منذ البداية ما يسمى بالمخبر السري لأن وجوده غير مشروع وخارج الخيار القضائي لأنه جهاز تنفيذي ,حيث إن تقاريره السرية عن بعض المواطنين يأخذ بها القضاء ,ثم يصدر أمر إلقاء القبض على هذا الشخص ويبدأ معه التحقيق بالتعذيب البربري من قبل رجال الشرطة فيضطر للأعتراف بأفعال لم يرتكبها من أجل التملص من التعذيب فيحكم عليه بالإعدام وفق المادة 4إرهاب . لذلك تم إعدام العشرات من المواطنين الأبرياء ,علماً إن الإعتراف لا يؤخذ به في النظم القانونية المتحضرة في الغرب خصوصاً ما لم يقترن بقرائن أخرى وأدلة تؤكد أرتكاب المتهم لهذه الجريمة ,كما لا وجود لعقوبة الإعدام في الغرب الآن فلسفة العقوبة هي (إصلاح الجاني وردع غيره من الآخرين) لذلك إعدام الشخص يعني إلغائه من الوجود وليس إصلاحه . لذلك فإن الحكومات المتعاقبة في العراق تريد نظام قضائي على شاكلتها خاضع للسلطة التنفيذية ولا يتدخل في محاربة الفساد والمفسدين . وسوف يبقى الفساد المالي الإداري في العراق قائماً إلى حين إقامة نظام ديمقراطي حقيقي ينتخب فيه الشعب ممثليه في البرلمان بكل حرية ونزاهة بلا رشوة أو وعود , ويختار حكومته التي تمثل إرادة الناخبين دون أي تدخل للدين في السياسة أو السياسة في الدين مع إلغاء المحاصصة الطائفية التي نشرت الفساد في البلاد مع إبعاد كل ما يشوب العملية الديمقراطية , مع محاسبة كل الفاسدين والسراق ,حيث الحقوق لا يسقطها تقادم الزمن ,خصوصاً وإن المال العام هو مال الشعب العراقي الذي حمايته والحفاظ عليه واجب قانوني و أخلاقي وبغير إقامة نظام ديمقراطي وإلغاء كل ما يعارضها من محاصصة و طائفية وغيرها وفي ظل وجود قضاء مهني و محايد ومستقل ,فإن الفساد والفوضى والإحتجاجات كما يجري اليوم في البصرة بسبب الفقر والحاجة سوف تزداد وسوف يسير البلد إلى طريق مجهول . وفي هذا السياق ونحن نشير إلى ذكرى رحيل عبد الناصر ,فقد نشرت جريدة الديلي تلغراف البريطانية الواسعة الإنتشار في نهاية القرن العشرين عام 2000مقالاً بعنوان (عمالقة القرن العشرين) وقد أطلعت على هذا المقال حيث كنت في لندن آنذاك ,حيث ذكرت الصحيفة في هذا المقال مئة شخصية عالمية بينهم عبد الناصر .

شخصيات عالمية

وذكرت الصحيفة إن الناشرين الدوليين هم الذين أختاروا هذه الشخصيات العالمية في ذلك القرن لشرطين الأول تاثير هذه الشخصية عالمياً ومحلياً في حياتها ,والشرط الثاني أستمرار هذا التأثير بعد وفاتها والمعلوم كان أختيار عبد الناصر الوحيد بين العرب في ذلك القرن .

وبسبب عداء عبد الناصر للأستعمار والصهيونية ,والعمل من أجل الوحدة العربية ,التي تهدد مصالح الأستعمار والوجود الصهيوني في فلسطين ,فقد ذكر المرحوم محمد حسنين هيكل في برنامج شاهد على العصر الذي بث من قناة الجزيرة قبل وفاته بسنوات بأن المخابرات المركزية CIA سوف تبقى تطارد عبد الناصر في حياته ومماته ويقصد من قبل عملائها المنتشرين في الوطن العربي وفي كل مكان .

كلام في نخب النخبة

منهل الهاشمي
بغداد

(شوطة).. وباء أصاب الوسط الثقافي والفني والأدبي العراقي هو ما يسمى بمصطلح (النخبة). وبدءاً نقول بأن هذا المصطلح هو مصطَلح طبقي برجوازي مَقيت فهذه المفردة تعني ضمنا تقسيم الناس (لطبقتين) الأولى وهي النخبة والمقصود بهم علية القوم وصفوتهم... والثانية هي (ما دونهم) _لغةً ووصفا _فهم العامة، السوقة، الدهماء، والغوغاء الجهلة من اراذل الناس باديَ الرأي.. من سقط المتاع ! وبكل ما تحمله هاتين الطبقتين من تضاد في الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، وبرأينا المتواضع فالمصطلح الأكثر صواباً هو المثقفون أو المختصون فهي في اعتقادنا تخلو من أي بُعد طبقي أو فوقي جارح يوحي به مدلولها. وفي الواقع ترجع هذه التصنيفات إلى تقسيم النقاد للمدارس الفنية والأدبية لمدرستين أساسيتين وهما : مدرسة الفن للفن.. والثانية الفن للمجتمع، والأولى المعنية بالنخبة، أما الثانية فهي من تتوجه إلى عامة الناس او الشعب، هذا ويُرجِع د.علي الوردي ظاهرة أدباء النخبَة وشعرائهم في كتابه (أسطورة الأدب الرفيع) إلى العصر العباسي حيث كان أدباء وشعراء السلطة من بطانة الخليفة وحاشيته المعتاشين على فُتات موائدهم العامرة ينظمون فيهم القصائد.. ويدبجون لهم الخطب العصماء مدحا وتملقا وتزلفا لكي يجزل لهم العطاء الوفير.. والهدايا الثمينة كلما بالغوا تعظيما وتبجيلا لخليفة المسلمين !!. وإن كان للسلاطين وعّاظهم كما يقول الوردي، فلهم أيضا ادبائهم وشعرائهم متوجهين لهم بأدبهم (الرفيع).. عالي المقام.. بما يتناسب ومقامهم.. فلكل مقام مقال، فتكثر فيه الكلمات المتحذلقة والمترفعة فليست غايتهم أن يفهمها عامة الناس من السوقة والدهماء _في رأيهم _فهذا آخر همهم، بل المهم أن يفهمها علية القوم وكبرائهم، بعبارة أخرى يعني كان الغرض أو الغاية من ادبهم هو (براغماتي) نفعي مصلحي محض بقصد التكسّب والتربّح.

إرث أدبي

ومن ذلك الإرث الأدبي والفني الفوقي والمترفع انتقلت العدوى (النخبوية) للأسف للبعض من ادبائنا وفنانينا ومثقفينا فتراهم يسكنون برجا عاجيا يفصلهم عن العامة البسطاء.. ولهم عالمهم الخاص.. فهم في وادٍ.. وأولئك في وادٍ آخر، معتكفين في عزلة فكرية ونفسية تحجبهم عنهم بسور عالٍ.. سور بنوه من تكبرهم وغرورهم وإستعلائهم، بل في الواقع حتى في التعامل فيما بينهم يكون هذا الهاجس مسيطرا عليهم وقد غلبتهم الأنانية والنرجسية وتضخم لديهم حب الأنا والذات، فيعملون بمبدأ (أنا.. ومن بعدي الطوفان). ومن السهولة بمكان معرفة هذه (الأعراض !) لديهم فإذا ما لقيتهم نظروا إليك من علٍ.. وصعروا خدودهم.. واشاحوا بوجوههم عنك كشحاً واستنكافا واستكبارا، وإذا حادثتهم تراهم يتحذلقون ويتنطعون ويتصنعون بالكلام.. فيعوجون أفواههم.. ويلوون ألسنتهم ليتكلموا ويكتبوا كلاماً مغرقا بالمصطلحات والمفردات الغرائبية.. العجائبية، السريالية.. والسروالية !.. في (الحداثوية) وما بعدها.. وبعد... بعدها !!. مفردات موغلة بالغموض والإبهام والتعقيد المتعمد والاشتقاقات اللغوية المبتكرة التي ما أنزل الله بها من سلطان.. أو بطران ! بقصد التفاخر على اساس أنه (يفتهم)، بعضهم مثلاً يكتب بدل (عنده)... (عندياته) وهكذا يسومنا سوء العذاب من اصطلاحات واشتقاقات على غرار هذه يبتكرها من (عندياته)!.

وإنني لأتساءل من هو الأحق والأجدر بالتثقيف والتوعية وتوجيه الرسالة التنويرية.. التثويرية له : الإنسان الواعي المثقف المتنور والمدرك، ام الجاهل والأمي المعدم الذي اضطرته ظروفه الشخصية المادية والاجتماعية لترك التعليم قسراً ؟!... من هو الأحوج لعلاج الطبيب : السليم المعافى الموفور بالصحة والقوة ام السقيم العليل الهزيل المثقل بالأمراض والاوجاع ؟!!... أي (الطبقتين) أحق بالتنوير والمعرفة والثقافة.. الارستقراطيون المترفون من الصفوة والوجهاء والأمراء والكبراء الغارقين في العسل... أم الكادحين المعدمين المهمشين الغارقين في الوحل؟!.

أمنَ العدل والإنصاف.. والمنطق والإنسانية أن نزيد المثقف الواعي والمدرك وعيا وإدراكا وثقافة.. وندع الجاهل والأمي والمضلّل يرتع في وحل جهله وضلاله وزيفه حتى هامته... مالكم كيف تحكمون ؟!!.

ومما يؤسف له أن هذه العدوى انتقلت بشكل مستشر ملفت في الأوساط الأكاديمية فأضحت رسائلهم وأطاريحهم أشبه بكتب الطلاسم والتعاويذ والاحاجي والألغاز .... وشمس المعارف الكبرى !.

وفي الواقع فإن الغموض والابهام لدى أنصار مبدأ النخبة لم يأت اعتباطا وإنما عامداً متعمداً مستندين بذلك للمنطق الارسطي الفلسفي في القياس وكالآتي :

كل من يكتب بما يعصَ على الفهم والإدراك فهو عبقري (مقدمة كبرى)

انا اكتب بما يعصَ على الفهم والإدراك (مقدمة صغرى)

إذاً فأنا عبقري (نتيجة) !!

والطامة الكبرى أن هذا القياس بات معيارا متعارفا عليه في الوسط الثقافي والفني والأدبي : الغموض والتعقيد والإبهام ، فما دمت تكتب موضوعاً يستعصي على القاريء فهمه فهذا دليل على مقدار عبقريتك وثقافتك وسعة اطلاعك وإلا لكنا فهمنا ما تقول !!. والقاعدة في ذلك طردية كلما اوغلت بالغموض والتعقيد ارتفع معها بارومتر عبقريتك وثقافته وموهبتك .. والعكس صحيح تماما !!. جرب أن تكتب موضوعاً توصل به فكرتك للقاريء بكلمات بسيطة واضحة دون اللجوء للتعقيد والغموض فسيقال لك من قبل بعض المحررين في الصحف والمجلات أن موضوعك هذا ركيك ضعيف ويخلو من الرصانة والإحكام ثم أعد كتابته ثانية بأسلوب معقد غامض مستخدماً المصطلحات الغريبة والكلمات (الكبار) إياها ستجده يهشّ لك.. ويبشّ مكبرا فيك ثقافتك الموسوعية وعلمك الغزير.. الخطير، وحتى لو لم يكن فهم منه شيئا إلا أنه لا يجرؤ على إخبار الكاتب بذلك مخافة إتهامه بالجهل وقلة الثقافة والإدراك !. وقد اوغلوا (الجماعة) بذلك إلى الحد الذي جعل من كتاباتهم الملغزة تثير الاشمئزاز والقرف.. بل الضحك، والحق أقول ففي ايام مراهقتي العمرية والفكرية كنت انبهر بمثل هكذا كتابات أما الآن فأني أكاد استلقي على قفاي ضحكا منها ومن محاولتهم استغفال القاريء المسكين البسيط باستعراضاتهم الثقافية والمصطلحية متباهين بها وكأنهم أتوا بما لم يأت به الأولون.. وحتى الآخرون، وفي الحال أميز ما بين الغث والسمين، وما إذا كان هذا الكاتب يعرف ما يقول ويدركه ويعنيه ام أنه مجرد مدعٍ للثقافة والمعرفة و(يصفط) ويحشد مفردات رنانة.. طنانة.. جوفاء بحكم خبرتي وتجربتي. ومن يلجؤون لهكذا كتابات هم في الغالب من محدودي الثقافة أو التعليم فيتعمدون ذلك للتستر والتمترس خلف قناع زائف يحميهم من كشف محدودية ثقافتهم ومعرفتهم وإطلاعهم في حين نجد أن كبار الكتاب وأصحاب الأقلام المتفردة يكتبون بأسلوب ومفردات بسيطة بحيث يفهمها أكبر عدد من القراء فهذه هي غايتهم لا أن يستعرضوا عضلاتهم الثقافية أمام القاريء كهؤلاء ولنا في عالم الاجتماع المعروف (د.علي الوردي) خير مثال.

حرج وارتباك

وفي ذات مرة كان من سوء حظ أحدهم... ومن حسن حظي أني قرأت له موضوعاً على هذه الشاكلة فقلت له بسخرية مبطنة بما معناه : من الواضح أنك قد بقرت علوم الأولين والآخرين بكتابتك هذه.. وأنا رج